تشخيص النسا [1]

وتعيين الجنس بالتفسرة [2] وجس النبض والطرائق الحيوية

للدكتور شوكت مرقس الشطي

الاستاذ في المعهد الطبي العربي بدمشق

ان ما يتمتع به الذكر من الحقوق في الارث والملك وما له من الاثر في حماية المنزل واستمرار سؤدده ومجده ورفع شأنه جعل الحوامل وبعولتهن وذوي قرباهن يسارعون الى التكهن بجنس (شق) الجنين فدفع ذلك العلماء والعرافين [3] الى التنقيب عن وسائل تشخيص الحمل منذ العصور الغابرة فكثر عدد العرافين كان لهم في تاريخ هذا البحث شأن خطير . وكان عرافو المصريين يلجأون الى طريقة غريبة لتشخيص الحمل وتعيين الجنس وقد ظهرت رسالة حديثة تطرقت الى هذا الموضوع واثبتت ان قدماء المصريين كانوا يعرفون منذ اربعة آلاف سنة واسطة تساعد على التكهن بالحمل وجنسه

تستند هذه الطريقة الى تأثير بول الحوامل في القمح والشعير فكانوا يكلفون الحامل أن تروي ببولها يوميًا كيسين في احدهما قمح وفي الثاني شعير فان نبت الحبوب دل ذلك على الحمل وان لم تنم استدل على عدم وقوعه واذا كان نمو القمح اكثر من نمو الشعير دل على ان الجنين ذكر وان وقع العكس كان الجنين انثى . ولعل القول الشائع في الديار الشامية حتى الآن الذي يسترشد به الى جودة الامر او نقيضه وولادة الصبي او البنت « اقمح ام شعير » هي من تراث ذلك العهد

درس ليوليوس منجر Lucius Manger وزوندك Zondek درجة تأثير بول الحوامل في نمو النبات وأخذا يقابلان بين النتائج التي حصلا عليها وما هو مذكور في اوراق البردي . وقد تمكن شولر Schoeller وغوبل Gobel ان يعجلا نمو العيصلان « نبات زنبقي » والبصل العادي والذرة بروائها بالرسول [4] الجرابي ثم كررا التجربة في نباتات اخرى فنجحت ولما كان بول الحوامل

---

(١) النسا : مبدأ الحمل . نسئت المرأة تنسأ — بدأ حملها (الخصص) (٢) بول الفريض يستدل به على حالته

(٣) العراف : الذي يخبر عن الماضي والمستقبل (٤) رسيل : ترجمة مرسون وهي كلمة اطلقت على افرازات داخلية تشبه افرازات اخرى ولها انواع كثيرة

محتوياً على هذه المادة وعلى رسوب النمر المتولد في قعر الغدة النخامية الامامي فلا غرابة في اتيانه الحب واتمائه . كرر ليوليوس طريقة المصريين القديمة فنجحت في تشخيص الجنس ولم تفد في اظهار الحمل لان البول يعيق نمو النبات تمدداً كان هو صافياً ولعل سبب خيبة تجربته استعمال حبوب القمح العادي لا النوع الفارسي المذكور في اوراق الردي

وجاء في قانون ابن سينا ان بول الحوامل صاف وربما كان على لون ماء الحمص وفيه الاكارع اصفر فيه زرقة وعلى رأسه ضباب وفي وسطه كقطن منفوش وكثيراً ما يكون مثل الحب ينزل ويصعد وان كانت الزرقة شديدة الظهور فهو اول الحمل وان كان بدلها حمرة فهو آخره وخصوصاً اذا كان يتكدر بالتحريك . وجاء في كتاب شفاء الاسقام ودواء الآلام لنور الدين الشهيد ان ابوال الحبالى صافية لاحتباس ما يغلظ البول ويكدره عليها ضباب في رأسها لطيف يطلب الاعالي من المائية ويقف هناك

وذكر اطباء العرب عن نبض الحوامل انهُ عظيم وسريع ومتواتر بسبب مشاركة الولد لأمه وكانوا يستطيعون تشخيص الحمل بجس النبض . ولا تزال هذه الفكرة سائدة في الاذهان حتى يومنا هذا وكثيراً ما تسأل النساء الاطباء ان يجسوا نبضهنَّ ويبشرهنَّ عن كونهنَّ حوامل وعن نوع الحمل

سعى العلماء لمعرفة الجنس فزعم ابقراط ان مدة اقامة الصبي في الرحم اقل من زمن اقامة الانثى ونقل ارسطاطاليس وجالينوس آراء وذكر اطباء العرب المجوسي والرازي وابن سينا ان المرأة اذا كانت حاملاً بذكر تبكر معها حركات الجنين واذا كان الحمل انثى تأخرت الحركات

قال الرازي الحبلى بذكر ابسط واصح لوناً وشهوة واسكن اعراضاً تحس بالنقلة في الجهة اليمنى ويعظم الثدي الايمن اولاً وتحمر حلمته ويكون اللبن غليظاً ابيض وتحرك الرجل اليمنى اذا مشت وتعتمد على اليد اليمنى اذا قامت وتكون عينها اليمنى اخف واسرع حركة والذكر يتحرك بعد ثلاثة اشهر والانثى بعد اربعة اشهر

وذكر غيره من اطباء العرب ان مما يدل على ذكورة الحمل كون النبض متواتراً قويًّا والهضم سهلاً ووجود خط اسمر او اسود على الخط المتوسط البطن وقالوا ان فحص البول قد يرشد الى معرفة جنس الحمل فجاء في كتاب شفاء الاسقام « ان طفا على البول ثمامة تغطي جميع وجه الماء دل على ان الولد ذكر وان كانت الثمامة في جانبه فالولد انثى وان كانت كالحبات فليست المرأة حبلى بل كان ذلك دليلاً على الرياح »

***

ليس من الحكمة بعد ان اوردنا ما تقدم عن طريقة المصريين وما عرفه اطباء العرب ان نتهم القدماء بالغفلة لذكرهم اساطير كهذه ولا ان نفندها قبل ان نبحث عنها بحثاً دقيقاً لان اكثرها وليد اختبارات جمة ومشاهدات عديدة . واكبر دليل على ذلك ما اثبته العلم في الوقت الحاضر وهو

امكان تشخيص الحمل منذ بدأه وتعيين الجنس بواسطة البول واننا نذكر فيما يلي احدث ما وصل اليه الاحيائيون biologists في السنين الاخيرة والطرق المستعملة اليوم

لم يتناول الاحيائيون سابقاً هذا البحث اعتقاداً منهم انه سرٌّ من اسرار الطبيعة الى ان كشف ابدرهالدن Abderhalden سنة ١٩١٢ القناع عن هذا السر وقال بتفاعله المثبت للحمل وقد أمّل الاحيائيون ان يتوصلوا الى تعيين الجنس بتعميق ابحاثهم بعد ان وفقوا الى تشخيص الحمل

بحث زوندك واشايم Ashcim في ذلك وقالا بوقوع وجوه من التغير في الدم خلال الحمل تساعد على تشخيص النبأ والجنس اذ لا يخفى ان الحمل يؤثر في الغدد الدمّ فيضطرب توازن رسلها وتتبدل الاخلاط الدموية . نذكر فيما يلي نبذة عن تفاعل ابدرهالدن لما له من القيمة التاريخية فقط ثم نذكر التفاعلات المستعملة اليوم والمستندة الى بول الحوامل كما كان الامر قديماً

تفاعل ابدرهالدن ، يستند الى تبدل خواص الاخلاط بتأثير اسباب معينة فيظهر في دم الحوامل مثلاً عناصر آجينية (زلالية) خاصة تقابلها الاخلاط بمخمرات تصنعها الكبد والكريات البيض

يستند التفاعل المذكور الى كشف هذه الخمائر في مصل دم الحوامل . ولم تنتشر هذه الطريقة لانها دقيقة صعبة وليست نتائجها مع ذلك صحيحة فقد يبدو التفاعل سلبيًّا في الحمل وايجابيًّا في غيره ثم عرفت في هذه السنوات الاخيرة طرائق متعددة اهمها طريقة اشايم وزوندك والتفاعلات المعدلة عنها

اثبت هذان المؤلفان ان بول الحامل يحتوي على رسل الفص النخامي الامامي الخاصة بالحمل فاذا حقنت به ادراص [1] غا مجراها التناسلي وضخمت رحمها واحتقنت ولتّمت الاباضة (تكون البيضة الناضجة) وزف المبيض . وقد استعملت هذه الطريقة في المانيا فكانت نتائجها صحيحة في ٩٩ حادثة من مائة

يظهر رسول الفص الامامي في البول بعد الالقاح ببضعة ايام ولا يزول الا بعد الولادة، تحقن الفأرة الصغيرة مرتين او ثلاث مرات بالبول في اليوم الواحد مدة ثلاثة ايام متتابعة ثم تقتل وتفتح جثّها ويتفحص مبيضها فان بدت فيه بقع زفية دلّ ذلك على الحمل

وقد استبدل بروها Brouha وسيمونه Simonet الحيوان المؤنث بذكر . يحقن البول مرة في اليوم مدة ٨ الى ١٠ ايام متعاقبة ثم يقتل الحيوان بعد يومين وتفتح جثته وتوزن خصيتاه ولا سيما الحويصلان المنويان فان ازداد حجمها بالنسبة الى حيوان شاهد لم يحقن دلّ ذلك على الحمل والعكس بالعكس . وقد بدت نتائج هذه الطريقة مشابهة لسابقتها

وقد ارتأى بروها Brouha وفريدمن Friedman ان يُلجأ الى حيوانات كبيرة لان التفاعلات في الصغيرة منها قد لا تكون جلية فاتخذا الارانب في اختبارها ولا يشترط في الارنبة ان تكون دون

(١) ادراص : جمع درص وهو ولد الفأر

البلوغ بل يكني ان تكون بعيدة عن الذكر كثيرا تبيض (تكون البيضة الناضجة) بتأثير الجماع فيتشوش العمل

***

تبدو التبدلات الكاشفة لهذا التفاعل كاليتم الفرجية في المبيض وتبشّع (١) الدم في المجاري واضحة وضوحاً كبيراً كما ان وريد الارنبة الهامشي كبير والحقن فيه سهل . فيحقن الوريد المذكور بـ ٥ — ١٠ سنتمترات مكعبة من البول . ولا بأس من تكرار الحقن مرة ثانية في اليوم الثاني ثم تقتل الارنبة في اليوم التالي للحقنة الثانية وتفتح جثتها ويشاهد ماوقع من التغير في مجراها التناسلي واعضائه

ينتخب بول الصبح عادة على ان يطهر بترشيحه من الشمعات وتكلف المرأة أن لا تتجرع دواء في اليوم السابق . وقد كانت نتائج هذه الطريقة صحيحة ايضاً في ٩٩ حادثة من مائة بحيث لذلك كان من اللازم الاعتماد عليها في التشخيص والاسترشاد بها في بعض الامور الشرعية والقانونية

وقد عرفت حديثاً وسيلة لكشف الجنس تقوم بحقن وريد الارنب البالغ الهامشي ببول المرأة فاذا تمت خصيتاه دلّ على ان المرأة حامل بأنثى ولا يطرأ عليها اقل تبدل اذا كان الحمل ذكراً . توصل الى ذلك مؤلفان اميركيان وهما ج . هـ . دورن H. Dorn وأدوار سوغرمان Edouard Sugarman بينما كانا يجربان طريقة زوندك واشايم في تشخيص الحمل . غير ان النتيجة لا تكون صحيحة الاّ اذا كان سن الحيوان مناسباً . ينتخب لذلك ارانب في دور البلوغ قد بدأت خصياتها بالنزول . وقد لاحظ هذان المؤلفان ان مدة هبوط الخصية واجتيازها الحلقة المغبنية وبلوغها جدار الصفن تختلف من عشرة الى خمسة عشر يوماً . يراقب سير هبوط الخصية بالجس البسيط ولا يسمح الارنب للاختبار المذكور الاّ في هذه المدة فقط . وطريقة العمل : يؤخذ ١٠ سنتمترات مكعبة من بول الحامل الصبحي ويحقن احد اوردة الارنب واحسنها الهامشي بها ثم يقتل الحيوان بعد ٤٨ ساعة وتفحص خصيتاه عيناً ومجهراً فاذا كان التفاعل ايجابيّاً اي دالاً على كون الجنس انثى تتكاثر عروق الخصية ويبدأ تولد المني فيها واما اذا كان الجنين ذكراً فلا يظهر اقل تبدل في الخصية . وقد كانت نتائج هذا الاختبار صحيحة في ثمانين حادثة من ٨٥ حادثة من $\frac{٨٠}{٨٥}$

يستنتج مما تقدم ان ابحاث القدماء واختباراتهم جديرة بالعناية والاهتمام وكثيراً ما اثبت العلم صحة ما دونوه وكما انهُ جاز للمؤرخين ان يقولوا بان التاريخ يعيد نفسه يجوز ان يقال ايضاً بان العلم يعيد نفسه في بعض الاحيان مع الاحتفاظ بالتناسب بين شتى العصور طبعاً ودليل ذلك تأييد مؤلفي الالمان صحة اختبارات المصريين التي مضى عليها اكثر من ٤٠٠٠ سنة . لذلك كان علينا نحن معشر الشرقيين ان نقتبس من علوم الغربيين فقد سبقونا اشواطاً بعيدة في مضمار الرقي وان لا نهمل الماضي بل علينا ان ننقب في بطون الكتب لنبحث عما عني به اجدادنا ونقتطف ثمار ابحاثهم وعلومهم

(١) تبيغ الدم تهيج وتوقد حتى يظهر في المرون